Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أحاط الدارسون بما جاء على لسان "السبكى" و"ابن يعقوب"، لكنهم اكتفوا بالإحاطة والنقل عنهما دون الإجابة عن عدة تساؤلات منها: لماذا كان وزن السجع وزناً شعريّاً هو الأصح من وجهة نظر الرجلين؟ هل توجد أسباب أخرى غير طريقة التعريف -جعلتهما يَعْدِلان عن القول بالوزن التصريفى الذى عناه غالبية البلاغيين إلي القول بالإجراء الوزنى الشعرى؟ ثم لماذا كان اعتبار الصيغة الصرفية يمثل ملحظاً ثابتاً فى مؤلفات الغالبيّة؟ ولماذا لم يقل البلاغيون بالوزن التصريفى فى تعاملهم مع القافية؟ هل أدركوا لكل من السجع والقافية خصوصيات جعلتهم يعمدون فى هذا إلى الصيغة الصرفية وفى تلك إلى الوزن الشعرى؟

لقد جرى التمييز بين وجهين للوزن يمكن إجراؤهما فى التعامل مع السجع، وزن تصريفى هو المعتبر من وجهة نظر غالبية البلاغيين، ووزن شعرى قال به صاحبا شروح التلخيص انطلاقا من ثبات المفهوم الذى يؤكد مشابهة السجع للقافية. والإجراءان يسترعيان الانتباه لما يثيرانه من تساؤلات على نحو ما قدّمت.

ونلج من مدخل أحسبه ذا قيمة فى استكناه أسباب الفريق الأول فى القول بالإجراء الوزنى التصريفى. فيتحتم النظر -بادئ ذى بدء- فى كل من الشعر والنثر للوقوف على الخصوصيّة التى تميز كل نوع منهما عن الآخر، إذْ من المفترض أن إدراك هذه الخصوصية كان الموجِّه الأساسى فى تحديد طبيعة الإجراء الوزنى المعتبر فى التعامل مع السجع، وذاك المعتبر فى التعامل مع القافية.

إن قضيّة الفرق بين الشعر والنثر قضية تمهيديّة جوهريّة؛ بوصف القافية بنية شعريّة، والسجع بنية نثرية. والافتراض الذى يطرح نفسه هو أن ارتباط كل بنية منهما بجنس أدبى حاضن لها كان المرتكز الأساسى الذى أملى على النظر البلاغى إجراءاته التحليليّة، وتحددت فى إطاره الملامح الوصفيّة للبنيتين.

ولئن كان البحث ينطلق من يقين بوجود تناقض شكلى بين النوعين: الشعر والنثر، فإنه لا يتجاهل ما يكون بينهما من نقاط التقاء أقرها النقد العربى القديم فى قول حازم القرطاجنى (ت٦٧٤هـ) "إن صناعة الشعر تستعمل يسيراً من الأقوال الخطابيّة، كما أن الخطابة تستعمل يسيرًا من الأقوال الشعرية لتعتضد